المرحلة الرابعة

[المواجهة]

obeikandl.com

obeikandl.com

الوقفة الثالثة عشرة

[فجئ بالغلام فقال له الملك: " أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل ! " فقال: " إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى " ؛ فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب] .

وفيها درسان :

الدرس الأول: إياك والاستدراج :

جاء في تفسير الطبري: أصل (الاستدراج) اغترار المستدْرَج بلطف من استدرجه حيث يرى المستدْرَج أن المستدْرِج إليه محسن حتى يورطه مكروهاً) [١] .

يلجأ أهل الباطل إلى استمالة أهل الحق؛ وبخاصة من قويت شوكته منهم، أو التف الناس حوله، وذلك حتى لا يقعوا معه في صدام، وذلك بمحاولة تقريبه إليهم، فإن لم يفلحوا تقربوا هم إليه، فإن استعصى عليهم كادوه أو تخلصوا منه، وهنا يحاول الملك أن يقرِّب الغلام إليه بطريقتين:

الأولى: عندما قال له « أي بُني » بأسلوب التصغير، وهي لفظة يقولها أب شفيق لطفل رقيق، وهي تدل على الحنو، والشفقة، والرفق، واللين، والمودة، والقرب الأُسَرى، ولكن الشر الذي تنطوي عليه لا يعلمه إلا الله ، فالملك كحية جلدها ناعم الملمس وسمها زعاف، يريد أن يستدرج الغلام بكلام عذب رقراق، كي يصل إلى غايته؛ وهي أن يجعله من سدنة ملكه.

الثانية: قوله : (قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل

---

(١) تفسير الطبري ٦ / ١٣٤ .

وتفعل!) ، وهنا يريد أن يقول للغلام إن طريقنا واحد، ووجهتنا واحدة، وأسلوبنا واحد، فأنا أُسيِّر ملكي بالسحر، وأنت قد بلغت من السحر مبلغاً عظيماً، تستطيع أن تفعل به الأفاعيل، وتدل على القرب الروحي .

فأراد بهذا الأسلوب أن يقول للغلام: أنت قريب منِّي جسداً وروحاً، فلم لا نتعاون ؟ ، وفي هذا الأسلوب من التلميح بما ينتظره من مستقبل باهر، ومكانة سامية، وعيش رغيد إن وافق على سدانة الملك، كما أنه ينطوي على تهديد خفي بضد ذلك من التعذيب والمهانة، والذل، وكدر العيش إن أصر على موقفه ولم يستجب لمطالب الملك.

فكل من دعا إلى الله ، وكانت دعوته تصطدم مع نظام الحكم، حاول النظام أن يستدرجه ليكون من أعوانه، وذلك بتوليته أعلى المناصب، وتقريبه من السلطان، ويفسحون له المجال، ويستخدمونه في لي أعناق النصوص الشرعية للتوافق مع أنظمتهم العفنة، وفي تلبيس الحق بالباطل، وإظهار الحق في صورة باطل، والباطل على أنه عين الحق، ويسير في ركابهم طمعاً في زخرف زائل وظل مائل، فيبيع دينه بعرض من الدنيا، فيا ويله على ما ضيع، ويا ويله ثم يا ويله على ما نصر من الباطل ودعا إليه، وما طمس من الحق ونهى عنه.

فإن لم يستجب لهم لاقى منهم الويلات، فإن صبر كان له من الله ـ عز وجل ـ الأجر، وكتب له النصر.

فإياك إياك أن تُستدرج وتبيع دينك بعرض زائل، فتلقى الله ـ عز وجل ـ مذءوماً مدحوراً، واصبر، وليكن لك في أبطال قصتنا الأسوة، فها هو جليس الملك والراهب يجودان بنفسيهما وما قالا كلمة باطل، فاستطاعوا بإذن الله أن ينزعوا روحيهما وهو أمر عسير، وما نزعوا منهما كلمة تغضب الله ـ عز وجل ـ وهو أمر يسير .

الدرس الثاني: الدلالة على أهل الحق حال التعذيب ليس نفاقاً:

في بعض الأحيان قد يبتلى الإنسان بما لا يتحمله فيدل على رفاقه ومن ينتهجون معه نفس المنهج فيتهمه البعض بالنفاق والخيانة، فهل هذا الاتهام في محله؟.

يقول الشيخ ياسر برهامي - حفظه الله -:

وفي دلالة الجليس،وهو الرجل المؤمن الصادق الداعي إلى الله - عز وجل - على الغلام دليل على سقوط الإثم عن المعذَّب والمكره إذا دل على غيره من الدعاة أو الملتزمين الصادقين وإن كان ذلك سبباً لتعرضهم لما يتعرض له لأن التعذيب أشد من القتل ، فسنرى كيف صبر هذا الرجل على القتل نشراً بالمناشير ولم يصبر عن الاعتراف على الغلام الذي علمه هذا الدين بسبب العذاب.

فلا يجوز أن يُلام إنسان ناله من هذا العذاب شيء على ما قاله ولا ما أخبر به ولا يُعد نقصاً في الإيمان ولا خللاً في التربية، بل قائد هذه الدعوة في قصتنا الغلام الصالح - وهو من أولياء الله تعالى وكراماته ظاهرة - لم يصبر على مثل هذا التعذيب،بل دل على الراهب وأخبر عنه، فلا حرج على من أصابه شيء من ذلك ولا عتاب فقد سبقه فيه أولياء صالحون ونسأل الله العافية [١].

---

(١) قصة أصحاب الأخدود للشيخ ياسر برهامي ص ٥٢، ٥٣ .

obeikandl.com

الوقفة الرابعة عشرة

[فجئ بالراهب فقيل له : " ارجع عن دينك " ، فأبى ، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه ؛ ثم جئ بجليس الملك فقيل له : " ارجع عن دينك " ، فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه] .

الدرس الأول: الإكراه :

قال الراغب : الإكراه يقال في حمل الإنسان على ما يكْرَهُهُ وقوله : ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ﴾ [النور :٣٣] . فنهى عن حملهن على ما فيه كَرْهٌ وكُرْهٌ (١) .

وقال ابن حجر: هو إلزام الغير بما لا يريده .

وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادراً على إيقاع ما يهدد به والمأمور عاجزاً عن الدفع ولو بالفرار .

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك .

الثالث : أن يكون ما هدده به فورياً فلو قال إن لم تفعل كذا ضربتك غداً لا يُعد مكرهاً ويستثنى ما إذا ذكر زمناً قريباً جداً أو جرت العادة بأنه لا يُخلف .

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره كمن أكره على الزنا

---

(١) المفردات ٢ / ٥٥٤ .

فأولج وأمكنه أن ينزع ويقول أنزلت فيتمادى حتى ينزل،وكمن قيل له طلق ثلاثاً فطلق واحدة وكذا عكسه،ولا فرق بين الإكراه على القول والفعل عند الجمهور، ويستثنى من الفعل ما هو محرم على التأبيد كقتل النفس بغير حق [١].

يقول الشيخ سعيد عبد العظيم ـ حفظه الله ـ :

ورد في الحديث أن الملك الطاغية لما سمع مقالة الأعمى لم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه ... فأخذه أيضاً بالعذاب حتى دل على الراهب ، فقيل ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للذي كان أعمى : ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في مفرقه أيضاً، وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى ... وهذه صورة استكراه واضحة، والخوف هنا قد تمهدت أسبابه، إذ الملك الطاغية كان يدَّعي الربوبية والإلوهية مع الله ، وعنده المقدرة على الانتقام ممن خالفه، وإنفاذ تهديده ووعيده، وما تحمل الغلام تحت وطأة التعذيب فدل على الراهب، وكان قد أوصاه الراهب بقوله :(وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تدل عليَّ)، وقد رأى الغلام بعينه ما حدث للجليس، والراهب.

ومما يستلفت النظر أن الجليس والراهب والغلام ومن خُدت لهم الأخاديد رغم تعرضهم لظروف الاستكراه إلا أنهم ثبتوا جميعاً على إيمانهم حتى الموت، فهل لم يكن لهم رخصة في إظهار الكفر مع طمأنينة قلوبهم بالإيمان ؟ .

يجيب الشيخ الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في أضواء البيان أثناء تفسيره لقوله تعالى : ﴿ **إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ [الكهف : ٢٠] .

وقد وضح أن أصحاب الكهف رغم تعرضهم للاستكراه إلا أنهم لم يترخصوا ولم يُظهروا الكفر وقالوا: ﴿ **وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا** ﴾ وكأن الاستكراه لم يكن عذراً لهم، ويحتمل أن يكون رفع الإثم والذنب في الاستكراه خاصاً بهذه

(١) فتح الباري ١٢ / ٣٦٣ .

الأمة، ويدل على ذلك قول النَّبيّ ﷺ : (**إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ وما استكرهوا عليه**) [١]. ومعنى ذلك أن غير أمته من الأمم لم يتجاوز لهم عن ذلك فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات [٢] .

ثم قال الشيخ/ سعيد - حفظه الله -: وقد ذكر العلماء أن من حلف لا يدخل دار زيد مثلاً فقهره من هو أقوى منه، وكبَّله بالحديد، وحمله قهراً حتى أدخله فيها فهذا النوع من الإكراه صاحبه غير مكلف بالإجماع إذ لا قدرة له على خلاف ما أُكرِه عليه، وهو في هذه الحالة ينفِّذ إرادة غيره.

فإن قيل له اقتل فلاناً وإلا قتلناك أنت، فلا يجوز له قتل غيره وإن أدى ذلك إلى قتله هو، إذ نفسه ليست أفضل من نفس أخيه.

وأما في غير حق الغير [٣] فالظاهر أن الإكراه عذر يُسقط التكليف بدليل قوله تعالى : ﴿ **مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** (١٠٦) ﴾ [النحل : ١٠٦] ، فمن استكره على النطق بالكلمة الخبيثة (أي كلمة الكفر) فلا إثم عليه.... إذ الضرورات تبيح المحظورات، وهي تُقدَّر بقدرها، وربنا يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه، وما أحد أحب إليه العذر من الله ، من أجل ذلك أرسل المرسلين مبشرين ومنذرين [٤] .

يتبادر إلى الذهن سؤال مهم: أيهما أفضل الأخذ بالرخصة أم التمسك بالعزيمة ؟.

---

(١) رواه ابن ماجة عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه برقم ٢٠٤٣، وابن حبان عن ابن عباس رضي الله عنهما برقم ٧٢١٩، وقال عنه شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط البخاري ، ورواه الحاكم عنه أيضاً برقم ٢٨٠١ وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في الكبير برقم ١١٢٧٤، وصححه الألباني في سنن ابن ماجة برقم ١٦٦٢، وفي الجامع الصغير وزياداته برقم ٢٦١١ .

(٢) انظر أصل الكلام في أضواء البيان ص ٦٣١ . طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) يقصد إذا كان الحق يختص بالله ولا يتعلق بأحد من المخلوقين فلا إثم عليه.

(٤) قصة أصحاب الأخدود للشيخ سعيد عبد العظيم ص ١٨٨- ١٩٢ باختصار وتصرف.

يختلف الحكم بحسب وضع الشخص وحاله [١] على ثلاث صور:

الأولى: التعريض :

ومعناه أن يقول المُكْرَه كلاماً له معنيان معنىً ظاهر يفهمه المستكرِه ويريحه، ومعنى مستتر يقصِده المُكْرَه، وهذا من مسالك التقية ليستنقذ نفسه.

فعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال : صحبت عمران بن حصين إلى البصرة فما أتى علينا يوم إلا أنشدنا فيه الشعر وقال : (إن في معاريض الكلام لمندوحة عن الكذب) [٢].

وهذه يفعلها من كان من عامة الملتزمين أما من كان متبوعاً فيجوز له ذلك إن كان فيما بينه وبين المستكرِه، أما إذا كان الأمر عاماً فلا يجوز؛ لأنه قد لا يفهم معظم العوام تعريضه فيستحل الحرام متأسياً بإمامه.

يقول الإمام أحمد : (إذا أجاب العالم تُقية والجاهل يجهل فمتى يتبين الحق).

الثانية: النطق بكلمة الكفر مع اطمئنان القلب بالإيمان :

وهذه يفعلها من استفرغ جهده في التصبر فلم يستطع ، وذلك لعوام الملتزمين، أما المتبوعون فالأولى الثبات.

الثالثة: أن يصبر و لا يعطي الدنية في دينه؛ وإن كان الثمن حياته:

وهذه خاصة بالمتبوعين لأن في زلة الواحد منهم زلة للأمة من بعده، فلا يجوز له أن يصون نفسه ويُهين دينه، بل يُعلي دينه وإن فقد نفسه، ومثال ذلك الإمام أحمد في فتنة خلق القرآن، فقد ظل يُعذب وحده حيناً من الدهر، فما لانت له قناة، ولا خُفض له جبين، ولا ارتعش له صوت، وما أقر عين الخليفة بما لا يُرضى الله .

---

(١) اقصد بوضع الشخص أي وضعه في الدعوة، هل هو من الدعاة المبرزين المتبوعين أم من عوام الملتزمين ؟، وأقصد بحاله أي هل هو جلد ثبت ممن يصبر على الأذى، أم ضعيف التحمل لا يصبر على الأذى ؟.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد برقم ٨٨٥، والطبراني في الكبير برقم ٢٠١، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ٤٧٩٤، ومصنف ابن أبي شيبة برقم ٢٦٠٩٦، وقال الألباني في الأدب المفرد صحيح موقوفاً.

ونخلص من ذلك أن الأئمة المتبوعين الأولى لهم الصبر على العذاب، ولا يليق بهم أن يلجأوا إلى الرخصة من التعريض في القول، أو النطق مع طمأنينة القلب، إلا من وجد نفسه غير قادر البتة على تحمل العذاب، ومن يصبر في ذات الله يصبره الله . أما غيرهم من عوام المسلمين فإن صبر فهو أيضاً أولى، وإن ترخص عند عدم القدرة فلا حرج عليه.

قال الشيخ/سعيد عبد العظيم: ويبقى أن يقال: إن إظهار شعائر الدين والثبات على الإيمان والأخذ بالعزيمة أولى وأفضل من بقاء طوابير طويلة تعطي الطغاة ما يريدونه ولو بألسنتهم، ولذلك كان ثبات الراهب والأعمى والغلام والمؤمنين مضرب المثل وقصة تحكى عبر العصور وكر الدهور[١] .

وتبقى ملاحظة:

بعض المنتمين إلى إحدى الجماعات التي تسمى نفسها إسلامية يتحللون من دينهم جملة وتفصيلاً مظنة الاستكراه، ويعلقون انسلاخهم من دينهم بحجة أنهم مستكرهون، رغم أنه لم يوَجه لأحدهم نظرة عتاب، فضلاً عن كلمة تهديد، ورغم ذلك يرفعون عقيرتهم بالجهاد ونصرة المسلمين في كل مكان، فوالله لو فُتح الباب لذلك لوجدتهم أول المتخاذلين، لأن من ترك شعائر دينه لمجرد احتمال أن يُصفع على وجهه مره، فهل سيتحمل دوي الرصاص فوق رأسه، وانفجار القنابل تحت قدميه ؟ ! ، فأقول لهؤلاء أفيقوا من غفلتكم، وراجعوا ثوابت هذا الدين، ودعكم من التحلل والانفلات من الدين ثم ادعاء نصرته، فإن هذا الدين لن ينصره متخاذل جبان.

الدرس الثاني: الصبر على البلاء في سبيل الله :

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر :١٠] .

---

(١) قصة أصحاب الأخدود للشيخ/ سعيد عبد العظيم ، ص ١٩٢ .

فإن سألت عن الصبر ؟ :

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ : (أصل هذه الكلمة هو المنع والحبس ،فالصبر حبس النفس عن الجزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها)[١]

أما عن حقيقته فيقول:(هو خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها)، وسُئل عنه الجنيد بن محمد فقال: (تجرع المرارة من غير تعبس)، وقال ذو النون: (هو التباعد عن المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة) وقيل: (الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن أدب) وقيل: (هو الغنى في البلوى بلا ظهور شكوى) وقيل : (الصبر المقام على البلاء بحسن الصحبة كالمقام مع العافية) ومعنى هذا أن لله على العبد عبودية في عافيته، وفي بلائه، فعليه أن يحسن صحبة العافية بالشكر، وصحبة البلاء بالصبر، وقال عمرو بن عثمان المكى: (الصبر هو الثبات مع الله، وتلقى بلائه بالرحب والدعة) ، ومعنى هذا أنه يتلقى البلاء وبصدر واسع لا يتعلق بالضيق والسخط والشكوى، وقال الخواص: (الصبر الثبات على أحكام الكتاب والسُّنَّة) وقال رويم: (الصبر ترك الشكوى) فسره بلازمه، وقال غيره: (الصبر هو الاستعانة بالله) ، وقال أبو على: (الصبر كاسمه)[٢] ، أي مر المذاق صعب على النفس مثل اسمه.

أقول: الصبر هو حبس النفس عن التبرم، واللسان عن التشكي ، والجوارح عن الاعتراض على أمر الله ، وقبول الأمر بعين الرضا.

أقسام الصبر :

يقول ابن القيم : الصبر ثلاثة أقسام : (صبر على الأوامر والطاعات حتى

---

(١) عدة الصابرين ص ١٥ .

(٢) عدة الصابرين ص ١٧ باختصار .

يؤديها وصبر عن المناهي والمخالفات حتى لا يقع فيها وصبر على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها ، وهذه الأنواع الثلاثة هي التي قال فيها الشيخ عبد القادر في فتوح الغيب ، لا بد للعبد من أمر يفعله ونهى يجتنبه وقدر يصبر عليه)[١] .

ويستفاد من كلامه رحمه الله أن الصبر على ثلاث درجات هي :

[١] الصبر على الطاعات .

[٢] الصبر عن المعاصي .

[٣] الصبر على البلاء.

وأفضلها أولها وأدناها آخرها، وفي ذلك يقول ابن القيم : (**فإن قيل أي** أنواع الصبر الثلاثة أكمل ، الصبر على المأمور ، أم الصبر عن المحظور، أم الصبر على المقدور ؟.

قيل الصبر المتعلق بالتكليف، وهو الأمر والنهى أفضل من الصبر على مجرد القدر؛ فإن هذا الصبر يأتي به البر والفاجر، والمؤمن والكافر؛ فلا بد لكل أحد من الصبر على القدر اختياراً، أو اضطراراً، وأما الصبر على الأوامر والنواهي فصبر أتباع الرسل، وأعظمهم اتباعاً أصبرهم في ذلك، وكل صبر في محله وموضعه أفضل، فالصبر عن الحرام في محله أفضل، وعلى الطاعة في محلها أفضل)[٢] .

وينشأ عن اقتران الأول و الثاني وعكسهما مع الثالث أربع درجات أخرى:

[١] الصبر على الطاعة والبلاء الناشئ عنها، ومثاله من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيؤذي فيثبت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويصبر على البلاء الناشئ عن قيامه بهذه الطاعة.

[٢] الصبر عن الطاعة والبلاء الناشئ عنها،ومثاله من يعذَّر للقيام بطاعة معينة فيأبى.

[٣] الصبر عن المعصية والبلاء الناشئ عنها، ومثاله صبر يوسف عليه السلام عن الزنا وصبره على السجن المترتب على عدم معصيته.

---

(١) المرجع السابق ص ٣١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٩ .

[٤] الصبر على المعصية والبلاء الناشئ عنها، ومثاله من يشرب الخمر ويجلد ويعود إلى الشرب ثم يعود إلى الجلد.

فيعود الصبر على سبع درجات هي :

[١] الصبر على الطاعة وما ينشأ عنها من بلاء.

[٢] الصبر عن المعصية وما ينشأ عنها من بلاء .

[٣] الصبر على الطاعة.

[٤] الصبر عن المعصية.

[٥] الصبر على البلاء.

[٦] الصبر على المعصية وما ينشأ عنها من بلاء ، كمن يُضرب ليُصلي ويصر على ألا يصلي .

[٧] الصبر عن الطاعة وما ينشأ عنها من بلاء.

وأعلاها أولها وأخسها آخرها.

ولا بد للعبد أن يجتمع فيه الخمسة الأولى، ويتخلى عن الاثنتين الأخيرتين، وما اجتمعت هذه الخمس إلا في نبى، أو ولي قائم لله بحجة، ويتفاضل الناس في العمل بهذه الخمسة أيما تفاضل، وأقلهم في الفضل والمنزلة من ظن أن الصبر إنما هو الصبر على البلاء فقط.

واعلم أن التفاضل الواقع بين الناس في درجات الصبر ناشئ عن التفاوت في همتهم؛ فكلما علت همة المرء كلما ترقى في المعالى، وكلما خست همته كلما تدنى هبوطاً.

أما الدرجتان الأخيرتان فهما محصورتان في أهل المعاصي مع أصولها وهي الصبر على المعصية والصبر عن الطاعة أعاذنا الله وإياكم أن نكون منهم.

والغلام في قصتنا قد استكمل الخمسة الأُوَل، فقد صبر :

أولاً: على الطاعة في طلب العلم زمناً على يد الراهب .

وثانياً: صبر عن المعصية فرفض تعلم السحر، ورغب عنه إلى التوحيد، وفي أول محك للتمييز ـ كما بينت ـ ظهر ميله لحال الراهب، وتمنيه أن يكون على الصواب.

وثالثاً: صبر على البلاء الناشئ عن صبره عن المعصية، لما تحمل ضرب الساحر له في أول الطلب.

ورابعاً: صبر على البلاء الناشئ عن صبره على الطاعة لما أظهر معتقده وجابه أمة بأسرها وما لانت له قناة، وبين طيات ذلك كله صبر.

خامساً: على البلاء الواقع عليه بقدر الله ـ عز وجل ـ، وبذا فقد استجمع مراسم الولاية، فرُسِم ولياً لله تعالى.

أُخيَّ أين أنت من هذه الدرجات؟، ما أظن إلا أنك مثلي اكتفيت ببعض الخامسة (الصبر على البلاء) ثم عددتَ نفسك من الصابرين، أواه فاحذر فإنه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وهل يُعد من هؤلاء الصابرين من لم يستكمل هذه الخمسة؟، ولكي تستكملها فاصبر وتصبر واصطبر وصابر.

يقول ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

فإن حبس نفسه ومنعها عن إجابة داعي ما لا يحسُن إن كان خُلُقاً له ومَلَكَه سُمي صبراً، وإن كان بتكلُّف، وتمرُّن، وتجرع لمرارته، سُمي تصبراً كما يدل عليه هذا البناء لغة فإنه موضوع للتكلف، كالتحلم والتشجع والتكرم والتحمل ونحوها، وإذا تكلفه العبد واستدعاه صار سجية له كما في الحديث عن النَّبيَّ أنه قال: (ومن يتصبر يصبره الله)[1]... ثم قال وأما الاصطبار فهو أبلغ من

---

(١) رواه البخاري برقم ١٤٠٠، ٦١٠٥٠ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: إن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده فقال: «**ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبر يُصبره الله، وما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر**»، ورواه أبو داود برقم ١٦٤٤، والترمذي برقم ٢٠٢٤، وأحمد برقم ١١١٠٦، والدارمي برقم ١٦٤٦، وابن حبان برقم ٣٤٠٠.

التصبر فإنه افتعال للصبر بمنزلة الاكتساب فالتصبر مبدأ الاصطبار، كما أن التكسب مقدمة الاكتساب، فلا يزال التصبر يتكرر حتى يصير اصطباراً.

وأما المصابرة فهي مقاومة الخصم في ميدان الصبر، فإنها مفاعلة تستدعي وقوعها بين اثنين كالمشاتمة والمضاربة قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠] ، فأمرهم بالصبر وهو حال الصابر في نفسه، والمصابرة وهي حاله في الصبر مع خصمه، والمرابطة وهي الثبات واللزوم والإقامة على الصبر والمصابرة، فقد يصبر العبد ولا يصابر، وقد يصابر ولا يرابط، وقد يصبر ويصابر ويرابط من غير تعبُّد بالتقوى، فأخبر سبحانه أن ملاك ذلك كله التقوى ، وأن الفلاح موقوف عليها ؛ فقال: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم العدو منه في الظاهر فهى لزوم ثغر القلب لئلا يدخل منه الهوى والشيطان فيزيله عن مملكته؛ أ.هـ [١].

وبعد هل ستصدع بالحق، وتصبر على البلاء، وتتلذذ بمرارة الصبر في سبيل الله ، أم ترضى لنفسك ودينك بالذل والاستكانة، وأيضاً فيهما من المرارة ما فيهما على كل نفس أبية، ولكن ليس لله فيها شيء، فاستمتع بمرارة الصبر في سبيل الله ، ولك فيها أجر، ولا تتجرع مرارة الذل والاستكانة في سبيل الشيطان وعليك بهما وزر.

الدرس الثالث: ولا تحسبن الذين قُتِلُوا في سبيل الله أمواتاً :

فإن صبرت وتحملت عذاب أهل الباطل في سبيل الله ، ولم يتحملوا هم طول صبرك فعجلوا بلقائك لربك فيا نعم اللقاء لقاء الحبيب، ويا فرحتاه بالانتقال إلى حياة أتم وأسعد وأنعم من الحياة الدنيا، وإن لم يكن فيها إلا القرب من المولى

---

(١) عدة الصابرين ، ص ٢٣، ٢٤ باختصار.

لكفي بذلك نعمة ونعيماً.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة : ١٥٤] .

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ: لما ذكر تبارك وتعالى الاستعانة بالصبر على جميع الأحوال ذكر نموذجاً مما يُستعان بالصبر عليه، وهو الجهاد في سبيل الله ، وهو أفضل الطاعات البدنية، وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه، ولكونه مؤدياً للقتل، وعدم الحياة، التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها، فكل ما يتصرفون به فإنه سعى لها ودفع لما يضادها، ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم، فأخبر تعالى أن من قُتِل في سبيله بأن قاتل في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، ودينه الظاهر لا غير ذلك من الأغراض، فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل مما تظنون وتحسبون، فالشهداء ﴿أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)﴾ [آل عمران :١٦٩-١٧١] ،فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى، وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي، وهو الفرح، وهو الاستبشار، وزوال كل خوف وحزن، وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا، بل وقد أخبر النَّبيّ ﷺ أن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل معلقة بالعرش، وفي هذه الآية أعظم حث على الجهاد في سبيل الله ، وملازمة الصبر عليه، فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد،ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتَّر العزائم، وزاد نوم النائم، وأفات (فوَّت) الأجور العظيمة والغنائم، لم لا يكون كذلك والله تعالى قد ﴿اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ

وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة :١١١] ، فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفساً نفساً في سبيل الله ، لم يكن عظيماً في جانب هذا الأجر، ولهذا لا يتمنى الشهداء بعد ما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يُقتلوا في سبيله مرة بعد مرة (١) .

قال تعالى : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) ﴾ [آل عمران : ١٦٩] .

لما كانت الحياة هي أعز ما يملك الإنسان، وآخر ما يتمنى فقده، فمن ضحى بها فقد ضحى، ومن ضحى بها لله فقد استودعها من لا تضيع لديه الودائع لذا كان من جميل إنعام الله عليه أن يرزقه حياة خاصة في الجنة بمجرد موته .

يقول القرطبي : قد أخبر الله تعالى فيها (أي هذه الآية) عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون ولا محالة أنهم ماتوا وأن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين وفُضِّلُوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم ، وقد اختلف العلماء في هذا المعنى فالذي عليه المعظم هو ما ذكرناه وأن حياة الشهداء محققة (٢) .

قال السعدي: هذه الآيات الكريمات فيها فضل الشهداء وكرامتهم، وما منَّ الله عليهم به من فضله وإحسانه، وفي ضمنها تسلية الأحياء عن قتلاهم وتعزيتهم، وتنشيطهم للقتال في سبيل الله ، والتعرض للشهادة فقال : ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ أى : في جهاد أعداء الدين قاصدين بذلك إعلاء كلمة الله ﴿ أَمْوَاتًا ﴾ أى : لا يخطر ببالك وحسبانك أنهم ماتوا وفُقِدوا وذهبت عنهم لذة الحياة الدنيا، والتمتع بزهرتها الذي يحذر من فواته من جبُن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٦٣ .

(٢) القرطبي ٤ / ١٧٢ .

عن القتال، وزهد في الشهادة ﴿ بَلْ ﴾ قد حصل لهم أعظم مما يتنافس فيه المتنافسون، فهم ﴿ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ في دار كرامته، ولفظ ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يقتضي علو درجاتهم وقربهم من ربهم ﴿ يُرْزَقُونَ ﴾ من أنواع النعيم الذي لا يعلم وصفه إلا من أنعم به عليهم، ومع هذا صاروا ﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ أي مغتبطين بذلك، وقد قرت به عيونهم، وفرحت به نفوسهم، وذلك لحسنه وكثرته وعظمته، وكمال اللذة في الوصول إليه، وعدم المنغِّص، فجمع الله لهم بين نعيم البدن بالرزق، ونعيم القلب والروح بالفرح بما آتاهم من فضله، فتم لهم النعيم والسرور(١) .

إشكاليــة :

ظن البعض أن كل من قُتل في ميدان المعركة وهو في صفوف من يدافع عن كلمة الحق، أو مات على يد أعداء هذا الدين أنه شهيد، بل اتسع الخرق على الراقع فوصف بعض أهل الهوى من مات وهو يغنى أنه مات شهيداً لأنه مات وهو يعمل!!!.

فيرد على ذلك كله ما ورد عن أبي موسى عليه السلام أنه قال: جاء رجل إلى النَّبيّ ﷺ فقال: الرجل يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل رياء فأي ذلك في سبيل الله ؟ ، قال : **(من قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا فهو في سبيل الله)** (٢) .

يقول النووي : فيه بيان أن الأعمال إنما تحسب بالنيات الصالحة وأن الفضل الذي ورد في المجاهدين في سبيل الله يختص بمن قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا (٣) .

ومعنى ذلك أنه ليس كل من مات في ساحة المعركة فهو شهيد بل من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ١٤٤ .

(٢) رواه البخاري برقم ٧٠٢٠، ومسلم برقم ١٥٠ / ١٩٠٤، والترمذي برقم ١٦٤٦، وابن ماجة برقم ٢٧٨٣، وأحمد برقم ١٩٥٦١، والبيهقي في الكبرى برقم ١٨٣٢٦ .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ١٣ / ٤٣ .

صلُحت نيته وخلُص عمله لله هو الشهيد أما ما عدا ذلك فهو قتيل وإن قُتل في ساحة المعركة.

ويشهد لذلك ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها قال :فما عملت فيها ؟، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال: كذبت ولكنك قاتلت لأن يُقال جرىء فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال :فما عملت فيها ؟، قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال :كذبت ولكنك تعلمت العلم ليُقال عالم ، وقرأت القرآن ليُقال هو قارئ ، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقى في النار، ورجل وسَّع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتي به فعرَّفه نعمه فعرفها ، قال: فما عملت فيها ؟ ، قال : ما تركتُ من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال :كذبت ، ولكنك فعلت ليُقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسُحب على وجهه ثم أُلقى في النار)** [١].

فلا يجوز إطلاق لفظة الشهادة على أي أحد، لأنها من ألفاظ التزكية التي نهى الشرع عن إطلاقها، كما إنه أمر غيبى لا يطَّلِع عليه أحد فلا يجزم به، وربما قاتل رياء وسمعه أو حمية كما ذكر في الحديث.

فأهل السُّنَّة يقطعون بالشهادة لمن تحققت له هذه الصفة عن طريق الوحى مثل الحكم بشهادة عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وسيد الشهداء حمزة أما غيرهم فلا يقطعون لأحدهم بالشهادة برغم ما يظهر لنا من صلاحهم، وإن ماتوا في ميدان المعركة، ولكن نقول فيهم نحسبهم ماتوا على خير والله حسيبهم.

---

(١) رواه مسلم برقم ١٥٢ / ١٩٠٥، والنسائي برقم ٣١٣٧، وأحمد برقم ٨٢٦٠، والبيهقي في الكبري برقم ١٨٣٣٠.

أقســـام الشهـــداء:

قال النووي : الشهداء ثلاثة أقسام:

أحدها : شهيد في حكـم الدنيـا : أي يعَامَـل فـي الدنيا معاملـة الشهيـد (وحكمـه ترك الغُسل والصلاة عليـه) ، وفي حكـم الآخـرة بمعنى أن له ثـواباً خاصاً، وهـم أحياء عنـد ربهـم يرزقـون ، وهـذا هـو الذي مات بسبب من أسباب قتال الكفار قبل انقضاء الحرب .

والثـانـي : شـهـيـد في الآخـرة دون الدنـيـا، وهو المبطون والمطعون والغـريق وأشباههم .

والثالث: شهيد في الدنيا دون الآخرة ، وهو المقتول في حرب الكفار ، وقد غل من الغنيمة أو قتل مدبراً، أو قاتل رياءً ونحوه فلهم حكم الشهداء في الدنيا دون الآخرة (١) .

---

(١) ٥/٢٢٥ـ نقلاً من مجلة التوحيد العدد ٤٠٩ ص ٦٩، ٧٠ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الوقفة الخامسة عشرة

ثم جئ بالغلام فقيل له : " ارجع عن دينك " ، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: " اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه " ، فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال: " اللهم اكفينهم بما شئت " ، فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال الملك : " ما فعل أصحابك ؟ " فقال: " كفانيهم الله تعالى " .

الدرس الأول: فضل الجهر بالدعوة إلى الله :

إن للدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ فضائل تنهي عن الحصر، وورد في الوحيين جملة من هذه الفضائل نورد منها بعض ما جاء في القرآن أولاً :

[١] أن الله ـ عز وجل ـ هو الذي ابتدأها فقال ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) ﴾ [يونس : ٢٥] .

[٢] وأمر نبيه ﷺ أن يدعو إليه وإلى صراطه المستقيم فقال تعالى: ﴿ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ (٦٧) ﴾ [الحج : ٦٧] .

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٨٧) ﴾ [القصص : ٨٧] .

[٣] بل جعل الدعوة إليه هي الغاية التي من أجلها أرسله ، فقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ

وَسِرَاجًا مُّنِيرًا (٤٦) ﴾ [الأحزاب :٤٦] .

[٤] وأن يوضح ذلك للناس كافة حيث أمره بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾ .

[يوسف : ١٠٨] .

وقال أيضاً : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَئَابِ ﴾ .

[الرعد :٣٦] .

[٥] كما أوضح جل شأنه أن ما أمر به النَّبيّ ﷺ بالدعوة إليه هو نفس ما أمر به الرسل والأنبياء من قبله وخاصة أولي العزم منهم فقال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ (١٤) فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (١٥) ﴾ [الشورى :١٣-١٥] .

[٦] وانتدب ـ عز وجل ـ العقلاء من هذه الأمة لينضموا إلى قافلة الدعوة إليه فإنها من أعظم سبل الفلاح فقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) ﴾ [آل عمران :١٠٤-١٠٥] .

[٧] وجعلهم أحسن الناس قولاً بتبليغهم عن ربهم بقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

[فصلت :٣٣] .

ثانياً: فضل الدعوة إلى الله ـ عزوجل ـ في السُّنَّة :

[١] عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال يوم خيبر (**لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله**) . فبات الناس ليلتهم أيهم يُعطى فغدوا كلهم يرجونه فقال (أين عليّ) . فقيل يشتكي عينيه ، فبصق في عينيه ،ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه ، فقال :أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ ،فقال: (**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**) (١) .

[٢] عن تميم الداري رضي الله عنه أن النَّبيّ ﷺ قال: (**الدين النصيحة**) قلنا: لمن ؟ ، قال: (**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) (٢) .

[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**) (٣) .

[٤] عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**نضَّر الله امرءاً سمع منَّا حديثًا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو**

---

(١) رواه البخاري برقم ٢٨٤٧، ٣٤٩٨، ٣٩٧٣، ومسلم برقم ٣٤ / ٢٤٠٦، وأحمد برقم ٢٢٨٧٢، وأبو داود برقم ٣٦٦١ .

(٢) رواه مسلم برقم ٩٥ / ٥٥، وأبو داود برقم ٤٩٤٤، والنسائي في السُنن برقم ٤١٩٧، وأحمد برقم ١٦٩٨٣، وابن حبان برقم ٤٥٧٤ .

(٣) رواه مسلم برقم ١٦ / ٢٦٧٤، وأبو داود برقم ٤٦٠٩، والترمذي برقم ٢٦٧٤، وابن ماجة برقم ٢٠٦، وأحمد برقم ٩١٤٩، والدارمي برقم ٥١٣، وابن حبان برقم ١١٢ .

أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)[١].

والدعوة تدور بين الإسرار والإعلان بحسب المصالح والمفاسد ولكن يختص المجاهر بدعوته على المسر بدعوته بغير داعٍ بعدة فضائل أهمها:

[١] أنه لن يقوم بها إلا لبق يحسن أن يعبر عما يريد، وإن الناظر في الواقع الذي نعيشه يجد أن الذين يحسنون مخاطبة الجمهور هم أكثر الناس تأثيراً في مجتمعاتهم، وهم الذين يستطيعون أن يوجّهوا دفة الأمور إلى ما يعتنقون من أفكار وإن كانت خاطئة، فما بالك إن كان ما يدعون إليه هو عين الحق، ولأجل الله وحده.

[٢] تدل في غالب الأحوال على جملة من الصفات الفاضلة في المجاهر بدعوته، منها: حياة القلب، وقوة الشخصية، وعلو الهمة، والغيرة على دين الله، والتضحية والفداء، وتُسلب هذه الصفات من المسر بدعوته بغير داعٍ وإن كانت فيه. فالجهر بالدعوة يوصف أهلها بكل فضيلة وإن لم تكن فيهم، والسر بالدعوة بغير داعٍ يتصف القائم بها بكل رذيلة وإن لم تكن فيه.

[٣] أصحاب الدعوات السرية بغير داع يعيشون كالخفافيش لا ينتشرون إلا في الظلام، ولذلك يستريب فيهم من يحيطون بهم، ويعللون ذلك بأنهم لو كانوا على حق لأظهروا ما يدعون إليه، أما أهل الدعوات العلنية يثق الناس فيهم ويلتفون حولهم. فصاحب الدعوة السرية مشكوك فيه وإن كانت دعوته حقة طالما أنه يدعو إليها سراً بغير داع لذلك، وصاحب الدعوة العلنية موثوق فيه وإن كانت دعوته باطلة.

[٤] أهل الشر من السهل عليهم أن يتخلصوا من أصحاب الدعوات السرية لأنهم غير معروفين، مهما علا شأنهم، أما أصحاب الدعوات العلنية فأهل

---

(١) رواه أبو داود برقم ٣٦٦٠، وابن ماجة برقم ٢٣٠، وأحمد برقم ٢١٦٣٠، وابن حبان برقم ٦٨٠، والطبراني في الكبير برقم ٤٨٩٠، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٧٦٣، وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ٩٠.

الشر يهابونهم ولا يحاولون التخلص منهم مباشرة خوفاً من الصدام مع أتباعهم، وخير مثال على ذلك في قصتنا قُتِل الراهب وجليس الملك أبشع قتله، وما وجه أحد اللوم للملك على فعلته تلك رغم شناعتها، وما تجرأ الملك أن يفعل ذلك مع الغلام، رغم علمه بأن الغلام تابع والراهب متبوع، ولكن تجرأ على الراهب لأن دعوته كانت سرية، ولم يتجرأ على الغلام وهو التابع لأن دعوته كانت علانية.

فالدعوة العلنية خير حصن لصاحبها، يُفتقد صاحبها إذا غاب، ولفقده ترتاع النفوس، وتبكي القلوب، وتدمع العيون دماً لا ماء، أما دعوة السر بغير داع قد تكون وبالاً على صاحبها وبسببها قد يُستأصل ولا تدمع لأجله عين، ولا يرق لفقده قلب.

الدرس الثاني: أمن يجيب المضطر :

قال تعالى: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٦٢) ﴾ [النمل : ٦٢] .

المضطر: قال ابن عباس : هو ذو الضرورة المجهود، وقال السدي : الذي لا حول له ولا قوة وقال ذو النون : هو الذي قطع العلائق عما دون الله [١] .

قال القرطبي: ضمن الله تعالى إجابة المضطر إذا دعاه، أخبر بذلك عن نفسه، والسبب في ذلك أن الضرورة إليه باللجاء ينشأ عن الإخلاص، وقطع القلب عما سواه، وللإخلاص عنده سبحانه موقع وذِمَّة، وُجِد من مؤمن أو كافر، طائع أو فاجر [٢] .

وهو سؤال يفيد حصر حصول المقصود للمضطر ممن لجأ إليه وهو الله وحده.

---

(١) تفسير القرطبي ١٣ / ١٤٨ .

(٢) السابق ١٣ / ١٤٨ .

يقول السعدي ـ رحمه الله ـ : أي هل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب وتعسر عليه المطلوب واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله ؟ (١) .

ففي قصتنا ضُيق على الغلام ولم يملك من أسباب النصر المادية ما يدفع به الأذى عن نفسه، واقتيد كشاة إلى مذبحها، ولكنه لجأ إلى من بيده ملكوت كل شيء، وما أكثر في الكلام، وما بالغ في التزلف المصطنع فقال : (اللهم اكفينهم بما شئت) كلمات بسيطة ولكنها خرجت من قلب متصل بالله ، فكانت الإجابة في التو واللحظة، وارتجف الجبل فسقطوا جميعاً ونجا بيد من إليه لجأ، ومثله في ذلك كمثل نوح عليه السلام إذ دعا ربه قائلاً : ﴿ **أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ** ﴾ [القمر: ١٠] ، وأيضاً أجابه ربه في حينها فقال ﴿ **فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (١٣)** ﴾ [القمر : ١١-١٣] .

ونلحظ أن نوحاً عليه السلام دعا ربه أيضاً بكلمات قليلة طلب فيها النجاة، وما دعا نوح على قومه ههنا بالهلاك، ولكنه طلب من ربه أن ينصره عليهم، وينجيه منهم، وكذلك الغلام ما دعا عليهم رغم أنهم يقتادونه لأحد خيارين أحلاهما مر فإما ردة ونكوص وإما موت وهلاك، ولكن كانت مشيئة الله ـ عز وجل ـ أن عجل بإهلاك الظالمين ونجى أولياءه .

وذلك لأن الله ـ عز وجل ـ يغضب على من أغضب أولياءه، ويحارب من حاربهم، فهو القائل في الحديث القدسي الذي رواه البخاري عن أبي رضي الله عنه هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن**

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٥ .

obeikandl.com

استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته) [١].

ومَن مِن الخلق قادر على حرب رب العباد؟ ولكن الظالمين بحربهم لأوليائه يستعدونه عليهم فتدور الدائرة عليهم، ويبقى الأولياء الصالحون في عز ومنعة.

فالله ـ عز وجل ـ يجيب المضطر إذا دعاه؛ وإن كان من أهل الضلال وذلك لما يجد من إخلاصه حال التجائه إليه، فما بالك إن كان الملتجئ من أوليائه وأصفيائه فإن الإغاثة تكون على الفور ويتحقق النصر لأهل الحق رغم قلة العدد ونفاد العتاد.

الدرس الثالث: الثبات على المبدأ:

هذا الغلام يظهر من مواقفه أنه صاحب مبادئ سامية، ومن أهمها إحسان ظن وثقة ويقين بربه جاوز الثريا، فلو أن أحدنا في مكانه ونجا من الموت بفضل الله لما تردد لحظة في الهرب ممن أرادوا أن يقتلوه، ولكنه لحسن ظنه وثقته ويقينه بربه ما فكر في الفرار، ولكنه رجع يمشي للملك وحده وقد تنامى بداخله يقينه بربه.

فمن أين أتى هذا اليقين ؟ ، إنه جاء نتيجة الإيمان الراسخ بحقيقتين أبى الله أن يشاركه فيهما أحد، ألا وهما: تصرفه في الرزق والعمر، فقد تكفل ربنا لكل منا برزقه، وحد له أجلاً يبلغه قَدَراً قبل أن يخلق السماوات والأرض، وكتب ذلك عقداً عند نفخ الروح فيه لا يُفسخ.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق قال: (**إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكاً فيؤمر بأربع كلمات، ويقال له: اكتب عمله، ورزقه، وأجله، وشقي أم سعيد، ثم ينفخ**

---

(١) رواه البخاري برقم ٦١٣٧، وابن حبان برقم ٣٤٧، والبيهقي في الكبرى برقم ٢٠٧٦٩ .

فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار . ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة » (١) .

فاعلم رحمني الله وإياك أن الله تكفل بالرزق وأقسم بنفسه على إيصاله لك فقال جل شأنه: ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣) ﴾ [الذاريات :٢٢-٢٣] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سبأ : ٢٤] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ (٣) ﴾ [فاطر : ٣] .

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ (٢١) ﴾ [الملك : ٢١] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦) ﴾ [هود : ٦] .

عن حذيفة رضي الله عنه قال قام النبيّ ﷺ فدعا الناس فقال: « **هلموا إليّ** فأقبلوا إليه فجلسوا ، فقال : **هذا رسول رب العالمين جبريل عليه السلام ، نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها»** (٢) .

وكما قيل: لو أنكم تفرون من الرزق كما تفرون من الموت لأدرككم الرزق كما يدرككم الموت.

واعلم أن الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك، فما تطلبه قد تدركه، وما يطلبك لا محالة مدركك.

---

(١) رواه البخاري برقم ١٢٢٦، ٣٠٣٦، ومسلم برقم ١ / ٢٦٤٣، وأبو داود برقم ٤٧٠٨، وأحمد برقم ٤٠٩١، وابن حبان برقم ٦١٧٤، والطبراني في الكبير برقم ١٠٤٤٠ .

(٢) صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٧٠٢ وقال عنه الألباني حسن صحيح.

واعلم أيضاً أن الله ـ عز وجل ـ هو المحيي المميت؛ الذي بيده آجال العباد، فهو الخلاق ، وهو الذي يدبر شئون عباده، فيميت من أراد وقتما يريد، ويبقى من أراد إلى أجل لا يعلمه إلا هو؛ فقد قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨) ﴾ [غافر : ٦٧-٦٨] .

وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٤٢) ﴾ [الزمر : ٤٢] .

والأنفس كلها بيده، ولن تموت نفس حتى تبلغ الأجل الذي حدده لها ربها فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً ﴾ .

[آل عمران : ١٤٥] .

فهذا على مستوى الأفراد، وعلى مستوى الأمم والجماعات قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤) ﴾ .

[الأعراف : ٣٤] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلاَّ وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥) ﴾ [الحجر :٤-٥] .

وقد كلف بذلك ملكاً موكلاً بقبض الأرواح (ملك الموت)، لا يقبض إلا روحاً أذن الله بقبضها فقال تعالى: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١) ﴾ [السجدة :١١] .

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) ﴾ [الجمعة : ٨] .

فهاتان حقيقتان لا يماري فيهما إلا زنديق فقد عقله، ورغم أن الواحد منا يعلم يقيناً أن حياته ورزقه بيدي ربه، ولا يتصرف أحد غيره فيهما، إلا أنه يجري لاهثاً طلباً للرزق، ويجري فراراً من الموت، يصدق فيه ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**قلب الشيخ شاب على حب اثنتين: حب العيش، والمال**) (١).

وعنه أيضاً أن النَّبيّ ﷺ قال: (**قلب الشيخ شاب على حب اثنتين طول الحياة وحب المال**) (٢).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول ﷺ قال: (**يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان الحرص على المال ، والحرص على العمر**) (٣).

وبين طيات هذا الجري المتواصل إقبالاً وإدباراً، تتهاوى وتتساقط المبادئ الواحد تلو الآخر، حتى يتجرد الإنسان من كل مبادئه، فيصير إنساناً بلا مبدأ وفي غمرة ذلك كله ينسى أو يتناسى ربه الذي بيده هذا وذاك.

فما تكاسل المتكاسلون، وما تعلل المتعللون، وما خارت القوى، وما نُقِضت العزائم، وضاعت المبادئ إلا من قِبَل ضعف اليقين بهاتين الحقيقتين أو انعدامه.

فإن كنت صاحب مبدأ حق؛ فتمسك به، واثبت عليه، ولا تتخلى عنه خشية الموت أو فوات الرزق، فإنهما بيد الله ، فقد قال ابن القيم: (فرغ خاطرك للهم بما أُمرت به ولا تشغله بما ضمن لك، فإن الرزق والأجل قرينان مضمونان، فما دام الأجل باقيًا كان الرزق آتيًا ، وإذا سد عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً أنفع لك منه) (٤).

---

(١) مسلم برقم ١١٣ / ١٠٤٦ .

(٢) رواه مسلم برقم ١١٤ / ١٠٤٦ .

(٣) رواه مسلم برقم ١١٥ / ١٠٤٦، والترمذي برقم ٢٤٥٥، وابن ماجة برقم ٤٢٣٤، وأحمد برقم ١٣٠٢١، وابن حبان برقم ٣٢٢٩ .

(٤) الفوائد ص ٧٧ .

فالثبات على المبدأ الحق في ذات الله مع المحن والشدائد أعظم دليل على قوة يقين بالله لا يلين، وإيمان راسخ في النفس لا يتزعزع، وإحسان ظن بالله به تبلغ ما تريد فهو القائل في الحديث القدسي المروي عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**قال الله تبارك وتعالي : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**) [١] .

قال النووي : (**أنا عند ظن عبدي بي**) قال القاضى : قيل معناه بالغفران له إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية، وقيل المراد به الرجاء وتأميل العفو وهذا أصح [٢] .

---

(١) رواه أحمد برقم ١٦٠٥٩، وابن حبان برقم ٦٣٣ وصححه الأرنؤوط، والاكم في المستدرك برقم ٧٦٠٣ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، وقال الذهبي صحيح وعلى شرط مسلم، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١٠٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٣١٦ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ١٧ / ٣ .

obeikandl.com

الوقفة السادسة عشرة

[فدفعه إلى نفـــر من أصحابه فقال: "اذهبوا به فـــاحملوه في قرقور فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه" فذهبوا به فقال: " اللهم اكفينهم بما شئت " ؛ فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك] .

وفيه ثلاثة دروس:

الدرس الأول: نصـــر الله لأوليائه :

يظن البعض أن النصر لا يكون إلا في ميدان القتال، ولا يتحقق إلا بتغلب أحد المعسكرين على الآخر، ولكن مفهوم النصر أوسع من ذلك بكثير .

النصر: حسن المعونة : (١)

فالنصر هو حسن المعونة للوصول إلى غاية منشودة، فكل تعاون وصل بأهله إلى غايتهم التي أرادوها يسمى نصراً،وهذا هو المفهوم العام للنصر لدى معظم الناس.

ومنه يظهر أن كل تعاون يصل بأهله إلى غايتهم وإن كانت فاسدة يسمونه - بزعمهم - نصراً ، فجاء الإسلام وضبط هذا الأمر بغايته، فسمى كل تعاون يؤدي بأهله إلى الحق نصراً وإن ماتوا في الميدان، وكل تعاون يؤدي بأهله إلى الباطل يسمى هزيمة وإن تفوقوا وكانت لهم الغلبة في الميدان.

فظهور الحق نصر، وكذا اندحار الباطل، واندثار الحق هزيمة، وكذا طغيان الباطل.

فمن أحسن معونة غيره في الوصول إلى الحق فقد نصره ولذلك ورد الأمر

---

(١) لسان العرب ٥ / ٢١٠، والقاموس المحيط ص ٦٢١ .

المباشر من النَّبيّ ﷺ للمسلم بنصرة أخيه المسلم على كل حال فعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**) . قالوا يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً فكيف ننصره ظالماً ؟ ، قال : (**تأخذ فوق يديه**) (١) .

فالوقوف بجانب المظلوم حتى يستوفي حقه من حسن المعونة ، ومن أهم مظاهر النصر، والدفع في صدر الظالم حتى يرتدع عن ظلمه من حسن المعونة له على نفسه حتى لا يهلك بكثرة ظلمه أو بتماديه فيه، وهذا أيضاً ذات النصر.

ولذا قال الصديق رضي الله عنه حينما بويع بالخلافة: (أيها الناس أني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن ضعفت فقوموني، وإن أحسنت فأعينوني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، الضعيف فيكم القوي عندي حتى أزيح عليه حقه إن شاء الله ، والقوي فيكم الضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله) (٢) .

فالنصر إما حسن معونة للوصول إلى الحق، وإما حسن معونة لحبس الغير عن التمادي في الباطل.

فكل تعاون في الوصول إلى الحق نصر، وكل تعاون في الوصول إلى الباطل هزيمة أو سبب مباشر لها ولذلك أمر الله ـ عز وجل ـ بالأول ونهى عن الثاني فقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة : ٢] .

فمن دعا إلى الحق فقد نصر من دعاه لأنه إما أن يحضه على الحق أو يمنعه عن الباطل، ولذا كان الدعاة والمصلحون هم أحب الناس إلى الله ـ عز وجل ـ وأقربهم منه منزلة لأنه الحق، الآمر بالحق الداعي إليه بحق، ولذا أخذ العهد على

---

(١) رواه البخاري برقم ٢٣١٢، والترمذي برقم ٢٢٥٥، وأحمد برقم ١٣١٠١، وابن حبان برقم ٥١٦٧، والبيهقي في الكبرى برقم ر١١٢٩٠

(٢) مصنف عبد الرزاق برقم ٢٠٧٠٢ . والبيهقي في الكبرى برقم ١٢٧٨٨ . والمتقي الهندي في كنز العمال برقم ١٤٦٤ وقال قال ابن كثير : إسناده صحيح في البداية والنهاية ٥ / ٢٤٨ .

نفسه بأن ينصر من نصره ويخذل من خذله فقال تعالى: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١]

ومن نصره لرسله وأوليائه أن يعينهم للوصول إلى غايتهم المنشودة وإظهار الحق الذي يدعون إليه، ويدحض ما يقف في طريقهم وإن كان ظاهر الأمر عند قاصري الفهم مطموسي البصيرة هزيمة، فها هو النَّبيّ ﷺ يخرج من مكة مهاجراً مستخفياً ورغم ظهور الأمر على أنه هزيمة إلا أن الله ـ عز وجل ـ سماه نصراً فقال: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠]. وذلك لما أيده وأعانه حتى وصل إلى غايته المنشودة وهي تعبيد العباد لرب العباد.

وبين أيدينا يموت الغلام ويظهر الحق بعد موته، وهذه هي حقيقة النصر أن يؤيدك الله ـ عز وجل ـ لتصل إلى غايتك المنشودة ولن يتحقق لك ذلك إلا إذا اتفق فيك ثلاثة شروط:

الأول: أن تكون غايتك هي الوصول إلى الحق:

قال ربعي بن عامر لرستم لما سأله ما جاء بكم ؟: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

الثاني: أن تكون محلاً النصر:

وذلك بأن تجتمع فيك أسباب الولاية وقد بينتها لك من قبل فارجع إليها، وقس نفسك عليها، وانظر هل أنت منهم ؟.

الثالث: أن تأخذ بأسباب النصر:

أن تأخذ بأسباب النصر وتتوكل على الله ولا تتواكل فها هو النَّبيّ ﷺ يُعِد العُدَّة لكل صغيرة وكبيرة حال هجرته ، رغم علمه بأن الله ناصره ولكنه حُسن التوكل على الله ـ عز وجل ـ .

وأخيراً هل نحن نستحق النصر ؟، هل توحدت غايتنا وهدفنا وعملنا على تعبيد العباد لرب العباد ؟ هل نحن محلٌ للنصر وتوجهت قلوبنا إلى ربها بأعمال على منهاج نبينا محمد ﷺ ؟، هل أخذنا بالأسباب الشرعية لكي ننتصر ؟.

إن سألت نفسك هذه الأسئلة وكنت منصفاً من نفسك لعلمت إننا لم نستجمع شروط النصر، ولما حار عقلك ورحت تسأل في دهشة لم لا ننتصر؟! .

الدرس الثاني: اتخذ إلهه هواه :

قال الراغب: الهوى : ميل النفس إلى الشهوة. ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة وقيل : سمى بذلك لأنه يهوى بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية وفي الآخرة إلى الهاوية (١).

وفي المصباح: (الهَوَى) مقصور مصدر (هَوِيتُهُ) من باب تعب إذا أحببته و علقت به ثم أطلق على ميل النفس و انحرافها نحو الشيء ثم استعمل في ميل مذموم فيقال: اتبع هواه و هو من أهل (الأَهْوَاءِ) (٢).

اعلم أن من أهم قواطع الطريق إلى الله اتباع الهوى، ولذلك جعل الله من أهم أسباب عدم استجابة الكفار للنَّبيّ ﷺ اتباعهم لأهوائهم فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ [القصص: ٥٠] .

قال ابن كثير: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ ﴾ أي فإن لم يجيبوك عما قلت لهم

---

(١) المفردات ٢ / ٧١٢ .   (٢) المصباح المنير ٢ / ٦٤٣ .

ولم يتبعوا الحق ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي بلا دليل ولا حجة ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ أي بغير حجة مأخوذة من كتاب الله ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ (١) .

قال السعدي : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لك ﴾ فلم يأتوا بكتاب أهدى منهما ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ أي: فاعلم أن تركهم اتباعك ليسوا ذاهبين إلى حق يعرفونه ولا إلى هدى وإنما ذلك مجرد اتباع لأهوائهم ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ﴾ فهذا من أضل الناس حيث عُرِض عليه الهدى والصراط المستقيم الموصل إلى الله - عز وجل - وإلى دار كرامته فلم يلتفت إليه ولم يقبل عليه ودعاه هواه إلى سلوك الطرق الموصلة إلى الهلاك والشقاء فاتبعه وترك الهدى، فهل أحد أضل ممن هذا وصفه ؟!! ولكن ظلمه وعدوانه وعدم محبته للحق هو الذي أوجب له أن يبقى على ضلاله ولا يهديه الله فلهذا قال:﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠) ﴾ (٢) .

ومن الناس من غلب عليه اتباع الهوى حتى صار الهوى له إلهاً يعبده من دون الله حيث يقول تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ (٢٣) ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

ومن هؤلاء الذين عبدوا أهواءهم من دون الله ذلك الملك الطاغية الذي ظهرت له البراهين الساطعة والحجج القاطعة على صدق دعوة الغلام وأن الغلام ومن تبعه على الحق، وهو نفسه على الباطل، ولكن غلبه هواه فأعماه عن رؤية الحق، فبدلاً من أن يثوب إلى رشده ويتبع الغلام تمادى في غيِّه وأصر على قتل الغلام، فوقع ما كان يحذر، وما نال ما تمنى.

---

(١) عمدة التفسير ٢ / ٦٨٤ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٧٧ .

فاتباع الهوى يهلك صاحبة، ويهوى به في هوة سحيقة من الأقذار، قل من ينجو منها دون أن ينجس ثوبه، ولذلك حذر الله ـ عز وجل ـ سيدنا داود عليه السلام من اتباع الهوى فقال: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: ٢٦].

ونزه نبيه محمد ﷺ عن الهوى فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣-٤].

وأمره أن يلزم الذين يريدون وجه الله ـ عز وجل ـ ولا يطع من اتبع هواه فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

ووعد من نهى نفسه عن اتباع الهوى بالجنة فقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

ونفي المساواة بين من عبد ربه على نور وبصيرة ومن اتبع هواه فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٤].

فإياك إياك أن تتبع هواك وتنسى مولاك فلن ينالك في الدنيا إلا العطب، وفي الآخرة إلا الهلاك.

الدرس الثالث: الحرب بين أولياء الله وأعدائه لا تخضع لقوانين القوى الطبيعية:

لما خلق الله ـ عز وجل ـ الحياة الدنيا خلق فيها موادها، جعل لكل مادة صفات خاصة بها، فمثلاً جعل للنار صفة الإحراق، وجعل للماء صفة السريان والإغراق، وإن تأملت كل مادة من المواد التي حولك لوجدت أن الله ـ عز وجل ـ قد أودع

فيها صفة خاصة بها، ولن يعوزك في ذلك جهد أو عناء.

وهذه الظاهرة من سُنن الله الكونية التي لا تتغير ولا تتبدل إلا بإذنه، فقد يسلب الله من أي مادة صفاتها في أي وقت شاء، ولمن شاء من عباده، فقد سلب من النار صفة الإحراق حينما ألقى فيها إبراهيم عليه السلام بأمره ـ عز وجل ـ حينما قال: ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) ﴾ [الأنبياء :٦٩] .

فصارت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام ولم تحرقه، ولما سلب صفة القطع من السكين ما قدرت على أن تقطع رقبة إسماعيل عليه السلام، ولما سلب من الماء صفة السريان والإغراق بقوله: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) ﴾ [الشعراء : ٦٣] .

فما غرق موسى عليه السلام ومن معه، ولما أودع فيها صفاتها أغرق فرعون ومن معه، فسبحان من حفظ هذا ونجاه بالماء، وأهلك ذاك وأغرقه بنفس الماء، وما ذاك إلا لكمال قدرته وحكمته في أن يودع ما يشاء فيمن شاء، ويسلب ما يشاء ممن شاء وقتما يشاء.

فكل ما في الكون رهن إشارته وطوع أمره، ولا يقع في ملكه إلا ما أراده ومن أعظم الأمثلة لذلك انصياع الأرض والسماوات لأمره رغم عظم خلقهما إذ يقول جل شأنه: ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) ﴾ [فصلت : ١١] .

قال ابن كثير: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ أي استجيبا لأمري وانفعلا لفعلي طائعتين أو مكرهتين، ... ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أي بل نستجيب لك مطيعين بما فينا [(١)] .

وقال السعدي: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ أى: انقادا لأمري طائعتين أو مكرهتين فلا بد من نفوذه ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أى: ليس لنا إرادة

(١) عمدة التفسير ٣ / ٢٠٧، باختصار.

تخالف إرادتك [١] .

فالسماوات والأرض رغم عظم خلقهما لا يقدران أن يخالفا أمر الله ، فما بالك بمن هو دونهما أو جزء منهما .

وبين أيدينا في هذه القصة تجد عجباً في هذا الأمر فتجد أن القوى المادية قد انقلبت موازينها، فبحجر يقتل الغلام دابة ما قدروا على قتلها بأسلحتهم الفتاكة، ويرجف الجبل فيتساقط كل من فوقه صرعى إلا الغلام، ويهيج البحر فيغرق كل من في السفينة إلا الغلام، ويطيش السهم من يد الملك وما يستطيع أن يصوبه للغلام رغم قرب المسافة وعدم وجود الحائل، وسهم آخر من كنانة الغلام وبنفس اليد يقتل الغلام رغم أن موضع إصابته في العادة لا يقتل.

وأين موازين القوى المادية في غزوة بدر فقد كان جيش المسلمين مؤلفاً من : ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وفرسين، فرس للزبير بن العوام، وفرس للمقداد بن الأسود الكندى، وكان معهم سبعون بعيراً ليعتقب الرجلان والثلاثة على بعير واحد، وكان رسول الله ﷺ وعلىٌّ ومرثد بن أبي مرثد الغنوى يعتقبون بعيراً واحداً [٢] .

وكان قوام الجيش المكي نحو ألف وثلاثمائة مقاتل في بداية سيره، وكان معه مائة فرس، وستمائة درع، وجمال كثيرة لا يعرف عددها بالضبط، وكان قائده العام أبا جهل بن هشام، وكان القائمون بتموينه تسعة رجال من أشراف قريش، فكانوا ينحرون يوماً تسعاً ويوماً عشراً من الإبل [٣] .

فبميزان القوى المادية كان لابد وأن يسحق جيش المشركين جيش المسلمين ويبيد خضراءه، ولكن إذا اتصل الأمر بالله فالأمر له شأن آخر، فهو القائل لنبيه ﷺ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٨٢٤ .

(٢) الرحيق المختوم ص ١٩٤، ١٩٥ باختصار.

(٣) السابق ص ١٩٦ .

مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون (٦٥) الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين (٦٦) ﴾ [الأنفال : ٦٥-٦٦] .

قال ابن كثير: ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وآمراً : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ كل واحد بعشرة، ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة، عن ابن عباس قال : لما نزلت ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف فقال : ﴿ الآن خفف الله عنكم ﴾ إلى قوله ﴿ يغلبوا مائتين ﴾ قال : خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم [١] .

أي أن الله نسخ الحكم فبعد أن فرض ـ عز وجل ـ ألا يفر المسلم من عشرة من الكفار؛ خففها بألا يفر المسلم من اثنين من الكفار، ولكن بقيت البشارة بالنصر فعند تعاظم الإيمان في القلوب وقوته مع الصبر يغلب المؤمن عشرة من الكفار بإذن الله ،وعند ضعف الإيمان وقلة الصبر يغلب المؤمن اثنين من الكفار بإذن الله ، وذلك لأننا لا نقاتل بعدة ولا بعتاد ولكن نقاتل بهذا الدين.

واعلم أنه ما من معجزة لنبيّ إلا وقد يجعلها الله ـ عز وجل ـ كرامة لولي وقد ورد أن نبينا ﷺ أيده ربنا بإلقاء الرعب في قلوب شانئيه من مسيرة شهر وذلك لما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ قال : (**أعطيتُ خمساً لم يعطهن أحد قبلي نصرتُ بالرعب مسيرة شهر ، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليُصلّ ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيتُ الشفاعة، وكان النبيّ يبعث إلى قومه خاصة**

---

(١) عمدة التفاسير ٢ / ١٢٢، وحديث ابن عباس رضي الله عنهما رواه البخاري برقم ٤٣٧٦ .

وبُعثتُ إلى الناس عامة (١) .

فمن اقتفي أثره وسار على نهجه وترسم خطاه فلابد أن ينصره الله بالرعب على أعدائه ولو من مسيرة أسبوع أو حتى يوم وكفي بها نعمة.

فلا تركن للقوى المادية فإنها لن تغنى عن أهلها من الله شيئاً، وتوكل على الحي القيوم وكفي به وكيلاً، ومن حسن التوكل الأخذ بالأسباب فالتزم قوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

ومعنى ذلك أنه يجب عليك أن تعد ما استطعت من قوة، و لا تركن إليها، وعلق قلبك بمن سخرها وسيرها فخير الأمور أوسطها، وأن النصر بيد الله لا بالقوة وحدها.

---

(١) رواه البخاري برقم ٣٢٨، ومسلم برقم ٣ / ٥١١، والنسائي برقم ٤٣٢، وابن حبان برقم ٦٣٩٨ .

obeikandl.com